الرزق كما هو قادر على الرزق فمن قولهم لولا أن من الله أي تفضل
الملك الأعظم علينا بجوده ولم يعطنا ما تمنيناه من الكنوز على
مثل حاله لخسف بنا مثل ما خسف به ويكأنه لا يفلح الكافرون
لنعمة الله كقارون والمكذبون لرسله وبما وعد لهم من ثواب الآخرة
ويقول تعالى تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم وتفخيم لشأنها أي
تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها وتلك مبتدأ والدار صفته
والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض بالبغي ولا
فسادا بعمل المعاصي فلم تعلق تعالى الوعد بترك العلو والفساد
ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال تعالى ولا تركنوا
الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله تعالى
عنه ان الرجل يعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل
صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت
الأماني ها هنا وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه انه
كان يرددها حتى قبض قال الزمخشري ومن الطماع من يجعل العلو
لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله تعالى ان فرعون علا
في الأرض وبقوله تعالى ولا تبغ الفساد في الأرض فيقول ما لم
يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله
تعالى والعاقبة أي المحمودة للمتقين أي عقاب الله تعالى بعمل
الطاعة كما تدبره علي والفضيل وعمر رضي الله تعالى عنهم ولما
بين تعالى ان الدار الآخرة ليست لمن يريد علوا في الأرض ولا
فسادا بل هي للمتقين بين بعد ذلك ما يحصل لهم فقال تعالى من جاء
بالحسنة فله خير منها من عشرة أضعاف الى سبعين الى سبعمائة
ضعف الى ما لا يحيط به الا الله تعالى ومن جاء بالسيئة وهي ما نهى الله
تعالى

عنه وهي خاصة المؤمنين فلا يجزى أي من جازى كائنا من كان واظهر بما في هذا المحل
من الضمير العائد على من بقوله تعالى الذين عملوا السيئات تصويرا
لحالهم تقبيحا لها وتنفيرا من عملها الا جزاء ما كانوا يعملون أي مثله
وهذا من فضل الله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها
ويجزي الحسنة باكثر منها كما مر فان قيل قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم
لأنفسكم وان أسأتم فلها كرر ذكر الاحسان واكتفى في ذكر
الاساءة بمرة واحدة وفي هذه الآية كرر الاساءة واكتفى في ذكر
الاحسان بمرة واحدة فما السبب في ذلك أجيب بأن هذا المقام
مقام ترغيب في الدار الآخرة فكانت المبالغة في النهي عن المعصية مبالغة
في الدعوة الى الآخرة وأما الآية الأخرى فهي شرح حالهم فكانت
المبالغة في ذكر محاسنهم أولى فان قيل كيف ان الله تعالى لا يجزي
السيئة الا بمثلها مع ان المتكلم بكلمة الكفر اذا مات في الحال عذب
أبد الآباد أجيب بأنه كان على عزم انه لو عاش أبدا لقال ذلك
فعومل بمقتضى عزمه ان الذي فرض أي أنزل عليك القرآن قاله أكثر
المفسرين وقال عطاء أوجب عليك العمل بالقرآن وقال أبو علي فرض
عليك أحكامه وفرائضه لرادك الى معاد أي معاد ليس لغيرك من
البشر وهو المقام المحمود الذي وعدك أن يبعثك فيه وتنكير معاد
لذلك وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني الى الموت وقال
الزهري وعكرمة الى القيامة وقيل الى الجنة وروى العوفي عن ابن
عباس يعني الى مكة وهو قول مجاهد قال القتيبي معاد الرجل
بلده لانه ينصرف ثم يعود الى بلده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب
فلما أمن رجع الى الطريق ونزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1